زراعة الزيتون فى سوريا

وبحث العوامل التى تؤثر فى جودة الزيت

للمهندس الزراعى عز الدين فراج
المدرس بكلية الزراعة فى جامعة القاهرة
والاستاذ بكلية الزراعة ببغداد سابقاً

يعد الزيتون من أقدم الزراعات فى سورية ولبنان ، ويعتبر من الغلات الرئيسية فى القطرين . وكانت أشجار الزيتون فى الماضى أكثر انتشارا مما هى الآن ، فقد قطع عدد كبير من أشجاره فى أثناء الحرب العالمية الأولى لتحويل أخشابه إلى فحم تسير به القاطرات، ويبلغ عدد أشجار الزيتون فى سوريا الآن ستة ملايين، وفى لبنان ثلاثة ملايين ، تنتج كل عام مقدارا من الزيت يتراوح مقداره بين ١٠ و ١٥ ألف طن من الزيت كل عام .

وتعد سورية ولبنان من البلاد المصدرة لزيت الزيتون ، ويزيد ما يصدرانه فى بعض السنوات على عشرة آلاف طن ، ترسل أكثرها إلى مصر وبريطانيا وفرنسا .

العوامل المؤثرة فى الإثمار الوفير المنتظم :

إن اعتقاد الفلاحين بأن شجرة الزيتون شجرة قوية تتحمل التقشف والإهمال وأنها « رزق الأرامل » تعيش وتثمر بدون معاملة هو اعتقاد خاطىء ، نعم ان شجرة الزيتون تعيش فى الصحارى والجبال وتتحمل شظف العيش ولكنها بهذه الحالة قلما تعطى محصولا وفيرا وغلة كافية ، فهى لا تموت إذا أهملت ولكنها لا تثمر . وهذه الشجرة التى تتحمل كثيرا من الإهمال وتعيش فى ظروف لا تتحملها الأشجار الأخرى من أكثر الأشجار اعترافا بالجميل وأشدها تأثيرا بالعناية البسيطة التى تقدم لها .

ولهذا يقول أهل سورية ولبنان وفلسطين كلمتهم المأثورة :

« إذا عزقت شجرة الزيتون تكون قد رجوتها أن تعطيك ثمراً وزيتا ، وإذا عزقتها وسمدتها فلا بد أن تعطيك ثمراً وزيتا ، وإذا عزقتها وسمدتها وقلمتها أخجلتها فأعطتك الثمر والزيت الذى تريد » .

ويقصدون من ذلك إلى أن العناية بعزق الأرض وتسميدها وتقليم أشجارها من أهم العوامل التى تعين الأشجار على الإثمار الوفير المنتظم . ولهذا نرى المزارع السورى الممتاز يلجأ إلى اتباع الوسائل التالية ليحقق هدفه المنشود وهو وفرة الزيت وزيادة المحصول :

أولا — تحرث الأرض فى الشتاء ، لأن هذا الحرث يساعدهم على تسرب الماء فى باطن الأرض واختزانه فيها .

ثانياً — تعزق الأرض بالمعزق لا بالمحراث ، لقتل الأعشاب التى تزاحم الأشجار فى غذائها وتبخر ماء التربة بدل المحافظة عليه .

ثالثاً — يسمدون الأشجار بانتظام وبعنايه ، لأنهم يؤمنون أن التسميد يزيد المواد الغذائية فى التربة ؛ ويمكن الشجرة من تغذية ما عليها من ثمار ؛ وإنماء غصون جديدة تحمل ثمار السنة المقبلة .

رابعاً — التقليم السنوى ضرورى جداً ، إذ أن التقليم بطبيعة يدفع الشجرة إلى النمو الخضرى ، وهذا يساعد على تكوين الأغصان الجديدة لحمل ثمار العام التالى .

خامساً — فى بعض مناطق سورية يروى الزيتون بالماء خلال أشهر الصيف . وهذا عمل ضرورى فى المناطق القليلة المطر ، التى يتيسر فيها ماء الرى . ولكن بعض الزراع يغطيء بسق أشجاره بقناة تمر حول ساق الشجرة ، تاركين القسم الباقى من الأرض — وهو القسم الأكبر — جافا ، وبهذه الطريقة يشجعون نمو الجذور فى منطقة محدودة ضيقة ، ويحرمون الجذور من الامتداد إلى بقية الأرض حيث يوجد الغذاء ، وعوضا عن قناه واحدة يشير المختصون هناك باستعمال عدة قنوات

بين صفين من الشجرة . وهذه الطريقة تشجع الجذور على الامتداد فى جميع أقسام أرض البستان فتستفيد من الغذاء الموجود فيها .

تسميد الأشجار :

تسمد شجرة الزيتون البالغة المثمرة إما بالسماد الأزوتى بمعدل كيلوجرامين من السماد الأزوتى وإما بالزبل .

وعند استعمال الزبل كسماد فى الشتاء يفرش بعيدا عن ساق الشجرة ويخلط بالتربة مع تجنب تكويمه حول سيقان الأشجار .

التقليم السنوى :

قبل أن نبدأ بدرس طريقة التقليم علينا أن نفهم شيئا عن طريقة حمل الثمر فى الزيتون وتأثير التقليم فى ذلك ، لأن لهذا الموضوع علاقة متينة بطريقة التقليم .

ويظهر ثمر الزيتون على أغصان أو فروع نمت خلال الصيف السابق لسنة الحمل ، يعنى أن الزيتون لا يحمل الثمر إلا إذا كانت له أغصان عمرها سنة واحدة فالفروع التى يزيد عمرها عن سنة لا تحمل ثمراً .

هذا ما أدى إلى الرأى السائد بأن الزيتون يثمر هـذه السنة مثلا ولا « يطرد » وفى السنة القادمة « يطرد »[1] كى يثمر فى السنة التى تليها (ولا يثمر لأنه لم يطرد فى السنة السابقة) . وهناك أمر آخر له علاقة بحمل الثمر ، فالبراعم التى تتكون على « الطرد »[2] فى هذه السنة ، والتى ينتظر منها « بحكم مركزها » أن تتفتح عن زهرة وثمر فى الربيع القادم قد تتحول عن ذلك ولا تحمل أبدا . فيكون عندنا فروع عمرها سنة ولا يكون عليها ثمر ، لماذا ؟ لأن البراعم تحولت عن طريق الإثمار واتجهت فى طريق النمو الخضرى بسبب عوامل مختلفة منها قلة نور الشمس ، وهـذا ما يجعل بعض النموات فى داخل

---

(١) « يطرد » معناها يعطى نموا خضريا .

(٢) الطرد المقصود به النمو الخضرى ذاته .

الشجرة لا يحمل ، بينما معظمه فى خارجها يثقل نفسه بالثمر . ومن ذلك بدت أهمية تقليم الأشجار عندهم .

وشدة التقليم تتوقف على أمور عديدة ، فالأشجار الضعيفة تتطلب تقليما قاسيا أكثر من الأشجار القوية ، كما أننا بحاجة إلى تقليم قاس فى الأراضى الضعيفة أكثر مما نحتاج إليه فى الأراضى الخصبة ، والتقليم يكون قاسيا إذا كان المطر قليلا ، ويكون خفيفا إذا كان فصل المطر شديداً ، وما ذلك كله إلا لأن التقليم يساعد على إنماء الطرد الجديد ، فالأشجار القوية فى الأراضى الخصبة والمواسم الكثيرة والمطر لا تحتاج إلى تقليم يساعدها على الطرد الجديد .

يكون تقليم الزيتون من أجل تنظيم النمو كل سنة أوسنتين مرة ، وذلك فى فصل الشتاء بعد جنى المحصول ، إنما أيها أوفق : أن يعقب التقليم المحل أو الحمل يعنى أيها أحسن : أن تقلم شجرة الزيتون بعد سنة حمل (على أبواب سنة واحدة محل) أو بعد سنة محل (على أبواب سنة حمل) .

كثير من المزارعين يفكرون فى تقليم ، الزيتون بعد سنة الحمل ، لأن الزيتون سوف لا يحمل فى السنة التالية ، فلا مانع من قطع بعض الأغصان . أما الصحيح فهو عكس ذلك ، فالأوفق أن يكون التقليم بعد سنة محل[1] أى على أبواب سنة حمل ، عندما تكون الشجرة على أهبة الحمل الكثير والنمو الخضرى القليل فالتقليم فى هذا الوقت يقلل شيئاً من حملها ويزيد فى نموها الخضرى ، فتكون أكثر استعداداً للحمل فى السنة التالية ، وبذلك يساعد التقليم على إضعاف ظاهرة تبادل الحمل فى أشجار الزيتون .

العوامل التى تؤثر فى جودة الزيت :

يتكون الزيت صافياً نقياً من الثمرة ، ولكن فى أثناء استخراجه تحدث بعض الأخطاء تزيد من حموضته ، ولو بدرجة قليلة ، فينشأ عن مجموع هذه الأخطاء زيت عالى الحموضة لا يصلح للتصدير ، فإنه كلما ارتفعت الحموضة بالزيت كلما فسد طعمه وقل ثمنه وضعف الإقبال عليه . وفيما يلى نستعرض أهم العوامل التى تؤثر فى جودة الزيت وحموضته .

(١) « محل » يقصد بها عدم الإثمار وقلته .

أولا : درجة النضج :

تعطى ثمار الزيوت الناضجة ١١٪ زيتاً أكثر من الثمار غير الناضجة . وقداختبرت الحموضة فى ثمار زيتون ناضجة وثمار غيرناضجة فكانت على النحو المبين بالجدول التالى :

نوع الثمـــار	نسبة الحموضة
زيت ثمار زيتون ناضجة أخذت رأساً للعصرة	٠,٩٥٪
زيت ثمار زيتون غير ناضجـة أخذت رأساً للعصرة	١,٤٠٪

ومن هذا نرى أن الزيتون الناضج أعطى زيتا أقل حموضة من الزيت الناتج من الثمار غير الناضجة .

وهذا يظهر جلياً أهمية قطف الثمار على دفعات متوالية وليس على دفعة واحدة ، لأن قطف الثمار على دفعات يمكننا من قطف الثمار الناضجة أولا بأول .

ثانياً ـــ رض ثمار الزيتون :

الزيتون الناضج سريع العطب ولا يتحمل الضغط الشديد ، وإذا وضعناه فى أكياس ثم وقعت هذه الأكياس على الأرض بشدة أو شددناها بالحبال على ظهر دابة فإن أعمالا كهذه تحدث رضوضاً فى الثمار وانشقاقا فيها ، وفى الحال يبدأ فيها التخمر فترتفع نسبة الحموضة نتيجة لذلك ، وقد أجريت تجارب فى هذا الصدد وقسمت الثمار إلى مجموعتين كما هو مبين فى الجدول التالى :

نوع الثمار	نسبة الحموضة بالزيت
الثمار السليمة	١,٤٪
الثمار المرضوضة	٢,٣٪

ومن الجدول السابق يتضح أن رض الثمار يسبب تخمرها وارتفاع الحموضة

فى زيتها ، لهذا ينبغى تجنب الثمار المرضوضة بنقلها فى صناديق خشبية مبطنة بدلا من نقلها فى أكياس تربط فى الدواب بحبال أو فى أكياس تلقى بعنف على الأرض .

ثالثا — خزن الزيتون :

لجأ بعض الزراع إلى خزن الثمار فى آبار المعاصر البلدية عدة أيام انتظارا لعصرها ، وهذا أمر يسبب تخمرها وفسادها ، وارتفاع نسبة الحموضة فى الزيت الناتج . وقد أجريت تجربة فى هذا الصدد ، فوضعت كميات من الثمار فى بئر المعصرة ليتخمر كالعادة . . ووضعت كمية مماثلة من الزيتون نفسه على أطباق خشبية لا يزيد سمك الطبقة منها عن ١٥ سنتيمترا ، وبعد ٢٥ يوما من بدء هذه التجربة استخرج الزيت من الثمار وقدرت حموضته فكانت نسبتها على النحو المبين بالجدول التالى :

نوع الثمـــار	لون الزيت	نسبة الحموضة
ثمار خمرت ٢٥ يوما فى بئر المعصرة	غامق	٤,٢٣ ٪
ثمار خزنت على أطباق خشبية	فاتح	٢,١٧ ٪

وهذه التجربة البسيطة تدلنا على أهمية العناية بخزن ثمار الزيتون ومنعها من التخمر .

رابعاً — دودة الزيتون :

إن الدودة التى تنخر الثمر على الشجر وتنهش جزءاً منه تعرض داخل الثمر — حيث يوجد الزيت — للعفونة أو للميكروبات ، وهذه الميكروبات تحلل الزيت وتحول قسما منه إلى حامض ، لهذا نجد أن الزيتون المصاب بالدود لا يعطى زيتاً جيداً مهما اتقنا صنعه . ومن هنا تظهر أضرار هذه الدودة التى تجب مكافحتها مهما كلفنا الأمر ، وفى حالة الإصابة ينبغى فرز الثمار المصابة وإبعادها عن الثمار السليمة

قطف الثمار وخزنها :

تؤثر عملية القطف فى كمية الزيت وجودته وطعمه كما تؤثر فى محصول الأعوام

التالية ، لأن نسبة الزيت تزداد كلما اقتربت الثمار من النضج . . وإذا زادت درجة النضج ولم تقطف الثمار قلت جودة الزيت الناتج .

وفى المزارع النموذجية لاتقطف الثمار دفعة واحدة ، بل تقطف بالتتابع على دفعات متوالية قد تصل إلى أربع مرات . ويتم القطف باليد أو بالأمشاط الخاصة ، ولسهولة العمل تستعمل السلالم الخشبية المزدوجة .

ويسبب سقوط الثمار على الأرض تلوثها بالتراب فيعرضها ذلك للتخمر فى أثناء خزنها انتظاراً للعصر . وهذا يقلل من جودة الزيت ويزيد نسبة حموضته ، ولهذا يلجأ كثير من المزارعين إلى فرش قطعة من القماش أو الخيش تحت الأشجار لتتساقط الثمار عليها . ومهما بلغ ثمن قطعة القماش فإنه شىء زهيد بالنسبة لفائدتها العظيمة .

ولا تضاف ثمار الزيتون المتساقط عادة إلى المحصول قبل القطف ، بل يعصر على حدة ، لأن زيته والأوساخ العالقة به تفسد الزيت كله .

وطريقة خزن الزيتون قبل عصره هى السر فى فساد الزيت ، فغير الزيت ما جاء من زيتون ذهب رأساً من الشجر إلى الحجر . . . ولهذا يتبع المزارعون الممتازون الطريقة التالية فى خزن الثمار :

ينشر الزيتون فى أرض الغرفة لتجف الرطوبة التى فيه . وإذا كان الحب وسخا وجب غسله ثم تجفيفه ، حتى إذا تم ذلك وضع الثمر بطبقة لايزيد سمكها على عشرة سنتيمترات على أطباق وألواح خشبية معلقة على « سقالة » كما هى الحال فى تربية دود الحرير . وتكون هذه الأطباق مرتفعة بعضها عن بعض ليتخللها الهواء فيبقى الزيتون جافا لا يتسرب إليه التخمر ، ومن الخطأ اقفال نوافذ المخزن ، فإذا لم يتيسر هذا الترتيب فى المعصرة العامة فعلى المزارع أن يهيىء فى بيته غرفة للخزن إلى أن يحين موعد العصر . فإذا ما انتهى عصر الزيتون نظف الزيت من الأوساخ العالقة به بواسطة الغسل والتركيز والتصفية . ثم يخزن فى أوعية نظيفة بمكان بارد ، ويحفظ من التعرض للهواء .